

تفسير البحر المحيط

@ 290 @ المقابلة و {ءانِ} نافية بمعنى ما ، والظاهر أن جواب {إِذَا} هو {إِنْ} يَتَّخِذُونَكَ { وجواب إذا بان النافية لم يرد منه في القرآن إلا هذا وقوله في القرآن {وَلَا إِذَا رَأَوْكَ} {إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا} ولم يحتج إلى الفاء في الجواب كما لم تحتج إليه ما إذا وقعت جواباً كقوله {وَلَا إِذَا تَتَلَّاهُمُ إِلَّا تَنَزُّتًا} بِإِذْنَاتٍ { ما كان حجتهم بخلاف أدوات الشرط ، فإنها إذا كان الجواب مصدراً بما النافية فلا بد من الفاء ، نحو إن تزورنا فما نسيء إليك . وفي الجواب لاذا بأن وما النافيتين دليل واضح على أن {إِذَا} ليست معمولة للجواب ، بل العامل فيها الفعل الذي يليها وليست مضافة للجملة خلافاً لأكثر النحاة . وقد استدللنا على ذلك بغير هذا من الأدلة في شرح التسهيل . .

وقيل : جواب {إِذَا} محذوف وهو يقولون المحكي به قولهم {أَهَآذَا السَّذَى يَذْكُرُ الرَّهَتَكُمُ} وقوله {إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا} كلام معترض بين {إِذَا} وجوابه و {يَتَّخِذُونَكَ} يتعدى إلى اثنين ، والثاني {هُزُوءًا} أي مهزواً به ، وهذا استفهام فيه إنكار وتعجب . والذكر يكون بالخير وبالشر ، فإذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه ، فإن كان من صديق فالذكر ثناء أو من غيره فذم ، ومنه {سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ} أي بسوء ، وكذلك هنا {أَهَآذَا السَّذَى يَذْكُرُ الرَّهَتَكُمُ} . .

ثم نعى عليه إنكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحالية وهي {وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَانَ هُمْ كَافِرُونَ} أي ينكرون وهذه حالهم يكفرون بذكر الرحمن ، وهو ما أنزل من القرآن فمن هذه حاله لا ينبغي أن ينكر على من يغيب آلهتهم ، والظاهر أن هذه الجملة حال من الضمير في يقولون المحذوف . .

وقال الزمخشري : والجملة في موضع الحال أي {يَتَّخِذُونَكَ * هُزُوءًا} وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بآلهتهم . فجعل الجملة الحالية العامل فيها {يَتَّخِذُونَكَ * هُزُوءًا} المحذوفة وكرره على سبيل التوكيد . وروي أنها نزلت حين أنكروا لفظة {الرَّحْمَانَ} وقالوا : ما نعرف الرحمن إلا في الإمامة ، والمراد بالرحمن هنا ، كأنه قيل {وَهُمْ يَذْكُرُ} ولما كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى إزقرار والعلم نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدم أولاً ذم {الْإِنْسَانِ} على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ، والظاهر أنه يراد بالإنسان هنا اسم الجنس وكونه {

{ خُلِقَ } { مِنْ عَجَلٍ } وهو على سبيل المبالغة لما كان يصدر منه كثيراً . كما يقول
لمكثر اللعب أنت من لعب ، وفي الحديث (لست من دد ولا دد مني) . وقال الشاعر : % (
وإنّما لما يضرب الكباش ضربة % .
على رأسه تلقى اللسان من الفم .
%) .

لما كانوا أهل ضرب الهام وملازمة الحرب قال : إنهم من الضرب ، وبهذا التأويل يتم معنى
الآية ويترتب عليه قوله { عَنِ آيَاتِي } أي آيات الوعيد { فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } في
رؤيتكم العذاب الذي تستعجلون به ، ومن يدعي القلب فيه وهو أبو عمرو وإن التقدير خلق
العجل من الإنسان وكذا قراءة عبد الله على معنى أنه جعل طبيعة من طبائعه وجزأ من أخلاقه ،
فليس قوله بجيد لأن القلب الصحيح فيه أن لا يكون في كلام فصيح وإن بابه الشعر . قيل :
فمما جاء في الكلام من ذلك قول العرب : إذا طلعت الشعري استوى العود على الحرباء .
وقالوا : عرضت الناقة على الحوض وفي الشعر قوله : .
حسرت كفى عن السربال آخذه .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدّي والضحاك ومقاتل والكلبي { الْإِنْسَانُ } هنا
آدم . قال مجاهد : لما دخل الروح رأسه وعينه رأى الشمس قاربت الغروب فقال : يا رب عجل
تمام خلقي قبل أن تغيب الشمس . وقال سعيد : لما